بسم الله الرحمن الرحيم

من بلاغة فرائد الأسماء الفذة في القرآن الكريم

محمد سالم سالم العوضي

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، فكان الآية البينة، والمعجزة الظاهرة، والدلالة القاطعة على صدق الوحي، وعظمة الموحِي، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ونبيه العظيم، الذي أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة، فكان حجة الله على الخلق، ورضوان الله على الصحب الكرام والأئمة الأعلام، الذين بذلوا وضحّوا من أجل أن ينقلوا إلينا هذا الدين، أداءً للأمانة، ووفاءً للعهد، لننقله نحن لمن يأتي وراءنا من الأجيال وهكذا تستمر الحياة والرسالة، ويحفظ الشرع، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولا، وبعد:

فإن للأسلوب القرآني رونقًا وجمالًا لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة، ولا حتى في نتاج فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها، لأن القرآن من أوله إلى آخره يبقى جاريًا على نظام ثابت من السموِّ في جمال اللفظ، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له ـ عادةً ـ دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والكلمات. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه ـ وإلى الآن ـ فحول علماء العربية والبيان.

ولهذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف منذ صدر الإسلام يتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه التي تحويها ألفاظه، فحفظوه عن ظهر قلب، وجمعوه في مصحف واحد، وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، وكتبوا في تفسيره وبلاغته وإعجازه. ولاتزال

مسيرة التأليف والبحث في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه، لأن كلمات الله تعالى لا تنفد معانيها، وسيظل الإنسان يجد في آياته معينًا لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته.

ويكاد يجمع العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم، بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1]، ولأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية إلى يوم الدين، إذن ستظل معجزاته باقية ببقائه، لا تنفد عجائبه، ولا تنقضي غرائبه. ومن هنا فالقرآن زاخر بالمعجزات المتنوعة والمتعددة، ومهما أُعطي البشر جميعًا بلاغة في الخطاب، وقوة في البيان، وفصاحة في التعبير لن يأتوا بمثل ما جاء فيه ولو اجتمعوا ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

وأخص بالذكر منها ما يتعلق بالإعجاز البلاغي واللغوي، والذي يستحق أن نقف عنده مبجِّلين ومسبحين بحمد بانيه وباريه. ليظل شاهدًا ثابتًا على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وسيقف هذا البحث مع بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله، لِيُثْبِتَ سر تفردها، والتي سُمِّيت بـ: "الفرائد".

منهج البحث:

ومنهجي في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مرورًا بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي الذي يفيد في تحليل الكلمات لغويًا لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني الذي يعتبر عملًا فنيًا خالصًا ينطوي تحت المنهج الفني.

مشكلة البحث:

ولقد تمثلت مشكلات هذا البحث فيما يأتي:

١- ماهية الفرائد القرآنية التي وردت في القرآن الكريم بشكل عام وفرائد بعض الأسماء بشكل خاص.

١- سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

٢- مكانة الفرائد القرآنية عند النقاد والبلاغيين وأهميتها وإلى أي مدى تمت دراستها من قبل العلماء حتى الآن.

٣- كيفية دراسة هذه الفرائد القرآنية من منظور لغوي بلاغي سياقي من أجل إثبات تفردها في سياقها وأسباب هذا التفرد، وإظهار إعجاز القرآن في تناوله لمثل هذه الكلمات.

٤- العلة في عدم تكرارها في سياق مشابه لسياقها، أو ذكر مرادف لها في مكانها.

٥- النكات البلاغية والأسرار البيانية التي يمكن الكشف عنها من خلال الفرائد القرآنية.

أسئلة البحث:

١- ما تعريف الفرائد لغة واصطلاحاً؟

٢- هل ورد ذكر للفرائد عند النقاد والبلاغيين والدراسات التي تناولت بلاغة القرآن؟

٣- كيف تناول النقاد والبلاغيون الفرائد من خلال مؤلفاتهم، وهل هناك فرق بين ما ذكروه وبين ما جاء عند من تناولها حديثاً؟

٤- كيف تسهم دراسة الفرائد في الدراسات البلاغية الحديثة المتعلقة بالقرآن الكريم؟

٥- هل هناك حاجة إلى تحليلها وتفسيرها والوقوف على أسرارها؟ وإلى أي مدى يسهم هذا في فهم القرآن فهمًا صحيحًا؟

٦- ما مدى حاجة السياق القرآني إلى مثل هذه الفرائد؟ وهل يغني غيرها غناءها في هذا الموقع؟

٧- هل اتسقت الفريدة مع سياقها ومقامها؟

أهداف البحث:

١- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحًا.

٢- الوقوف على ما إذا ورد ذكر لمصطلح "الفرائد" عند النقاد والبلاغيين وكذلك عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

٣- معرفة الكيفية التي تناول بها النقاد والبلاغيون الفرائد، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن.

٤- تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراسًا ومعينًا لتحليل آخر يشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقًا، وأحسن عرضًا، وأشمل نفعًا.

٥- التعريف بهذه الكلمات ولفت النظر إليها من الوجهة البلاغية، يساعد الدارسين والباحثين في تقديم بحوث جديدة تتناولها من جوانب أخرى، أو إضافة الجديد حولها.

٦- إثبات حاجة السياق لمثل هذه الفرائد وليس لغيرها لتنسجم وتتناغم تماما مع ما قبلها وما بعدها التي لا يغني غيرها مكانها، ولإثبات شدة كمال اتساقها وتناسبها في موقعها.

٧- دراسة كل فريدة قرآنية لغويًا وصرفيًا وصوتيًا، وما يترجح لها من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني، ثم إظهار دورها في السياق لمعرفة سرها البلاغي، وإثبات ما لها من خصوصية وتفرد، ومكنها هي وليس غيرها من التصدر في هذا المقام خاصة وبجدارة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا الموضوع في جوانب مختلفة، منها:

١- إن مما يزيد على ربع هذه الألفاظ وتلك الكلمات لا تكاد تستخدم في كلام الناس وحتى في كتابات المثقفين، بل إن نسبة كبيرة منها هي ألفاظ غير مستخدمة، ومجهولة المعنى حتى لدى المتخصصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الكلمات كخطوة أُولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخدامها، وهي ـ فيما أرى ـ خطوة مهمة لتيسير فهم القرآن، ومعايشته بطريقة مغايرة لما هي عليه الآن.

٢- إثبات وإظهار روعة البيان القرآني، والتعبير الحق البليغ عن أدق التفاصيل بأقل عدد من الكلمات بل من الحروف في نظام محكم بديع دون أن يخل بالسياق في جرس موسيقي يأخذ بالألباب.

٣- إن معرفة الإعجاز القرآني وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها، ومن أجلِّ العلوم وأعظمها، فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وضحت عنده أهميته وفضله، وقديمًا قالوا: "شرف العلم يتعلق بشرف المعلوم" والمعلوم هنا هو كتاب الله تعالى وكلامه ووحيه وبيانه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي لم يسمع بمثله بشر. فإظهار الإعجاز في هذا الكتاب وبيان العظمة في مبانيه ومعانيه من الأمور الواجبة والمهام الرائدة في كل زمان وفي هذا الزمان خاصة، لأمور منها:

- الحاجة الماسة إلى إظهار هذا الإعجاز للمسلمين وبيانه، حتى يخضعوا لأحكامه، وينافحوا عن حدوده، ويرغبوا فيه كما رغب أسلافهم.

- إن إظهار إعجاز القرآن وبيان أنه ـ قطعًا كلام الله سبب عظيم من أسباب هداية الكافرين، وجذبهم لهذا الدين، والأمثلة على هذا ـ في عالمنا اليوم ـ كثيرة، خاصة في مجالات الإعجاز العلمي والتشريعي.
- وإن إظهار إعجاز القرآن كذلك مهم وضروري جدا للذين سقطوا ضحيةً للفكر الغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يعظم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم، وبالتالي تصفو نفوسهم من تلك الشبهات، وترق أفئدتهم، ويعودوا إلى صوابهم.
- هناك في الأمة بقية تمسكت بلغتها، واطلعت على أسرار بلاغتها، وعلمت فضلها وأهميتها يسرها الاطلاع على مثل هذه البحوث اللغوية والبيانية، ويثلج صدرها كل بحث يكشف عن عظمة القرآن وسمو إعجازه، وهؤلاء بدورهم ينقلون إلى الناس ما استشعروه من جلال البيان القرآني، تأليفًا وحديثًا ومحاضرة وتدريسًا، فيشيع في الناس علمهم، وينتفعون بآثارهم، كما رأينا من بعض الدعاة المعاصرين الآن.

٤- والفرائد باعتبارها تمثل ظاهرة واضحة في التعبير القرآني بحاجة إلى دراستها بشكل وافٍ في بحث مستقل، إذ لم تحظ من الدارسين قديمًا إلا ببعض التعريفات المتواترة مع بعض الشواهد من القرآن والنثر والشعر، ولم يتطرق بحثهم فيها إلى وجودها كظاهرة في الأسلوب القرآني. وفيما يتعلق بالدارسات لها حديثًا سيتم التعرض لها في مكانها من هذا البحث. ولكن جاءت دراستهم لها إما لغوية، أو جزئية أو معجمية أو بلاغية دون الوقوف على أسرارها وأسباب تفردها في سياقها، أو الاقتصار فقط على عدد منها دون التعرض لها كلها، إضافةً إلى نظرة بعض المتأخرين من البلاغيين إليها، على أنها من الفنون العرضية التي تجلب لإظهار الاقتدار والتمكن والفصاحة لا البلاغة. ومع هذا فكلها دراسات لها وزنها وثقلها بل كانت نبراسًا لهذا البحث وتم الاستفادة منها بشكل كبير.

ومن هنا يعتقد الباحث أن دراستها على نحو متكامل "لغويًا، أي: من جهة معناها وما ذكرته المعاجم عنها ـ وصرفيًا، أي: من جهة اشتقاقاتها وفي أيّ قالب جاءت وعلى أيّ بنية تركيبية شكلت ـ وصوتيًا، أي: من جهة صفات حروفها من شدة ورخاوة ولين وقوة وجهر وهمس وعلو واستفال وتفخيم وترقيق، وهل تناسبت وتناغمت أصوات حروف هذه الفريدة مع ما دلَّت عليه من معنى واتسقت مع

الجو العام للآية التي وردت فيها ـ وبلاغيًا، أي: من جهة ما تنطوي عليه الفريدة من نكات بلاغية ولمسات بيانية وأسرار ولطائف فنية" يعتبر أمرًا ضروريًا، يؤكد به إعجاز القرآن البياني والبلاغي عن طريق التعبير بهذه الفرائد بين طيات سوره وآياته مع اختلاف المقامات والسياقات التي وردت فيها.

إجراءات البحث:

أولًا- تناول معاني مصطلح "الفرائد" بالشرح والتعريف لتقريب معناها للقراء وتوضيحه لهم.

ثانيًا- تناول مصطلح الفرائد في التراث النقدي والبلاغي للوقوف على كيفية تناول القدماء لها وعلى كيفية تصنيفها لهم، وطريقة تعاملهم معها. مرورًا بها عبر الأزمنة والقرون التاريخية المختلفة وصولًا بها إلى ما استقرت عليه عند المحدثين.

ثالثًا- الدراسة المتأملة في الفريدة القرآنية على اختلاف اشتقاقاتها من خلال هيكلها التركيبي، وبنيتها الصرفية، ووقع أصوات حروفها، وما تشعه من ظلال دلالية على النص والذي لا يتأتى لغيرها من المرادفات المشابهة أو القريبة منها والتي تحمل نفس المعنى الدلالي.

رابعًا- النظر الدقيق المتمعن في معرض الآية وجوّها الذي سيقت فيه، وما أضافته هذه الفريدة من روابط سياقية، وتعلقات قوية بين ما قبلها وما بعدها بحيث لا يغني غيرها مكانها.

خامسًا- الربط بين كل هذا وذاك محاولًا الوصول إلى معرفة سرها البلاغي، وإعجازها البياني، ولماذا لم يغن غيرها مكانها، وأخيرًا العلة في عدم سردها وتكرارها هي في مقام آخر مشابه ومثيل لنفس مقامها.

المبحث الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحاً:

قبل الشروع في هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته، فالفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة. والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضًا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهي أيضًا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة، أي: لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد(٣).

ـ ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا

٣- انظر: مادة "فرد" في: ابن منظور، **لسان العرب**، والزمخشري، **أساس البلاغة**، والراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**.

كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

ـ وهذا المعنى اللغوى لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت في كتب البلاغة والأدب والنقد(٤).

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي عند أول من أورد مصطلح "الفرائد" ابن أبي الإصبع المصري في كتابه **تحرير التحبير** تحت عنوان: باب الفرائد(٥)، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة، وحدد المصطلح بأنه "إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها" أي: خسرانها وفقدانها. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري، فمن ذلك قول أبي نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد اشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفا(٦)

ويعلق ابن أبي الإصبع على ذلك بقوله: "إن لفظة اشرأب من الفرائد التي لا نظير لها فى فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

ـ ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها. ومما استشهد به لفظ "خائنة" من قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٧)

٤- انظر في ذلك: أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، بغداد، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ١٦٠. وورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغي في: **شرح الكافية البديعية**، ص ٢٤٥، و**خزانة الأدب**، ص ٣٧٢، و**معترك الأقران**، ج ١، ص ٤٠٧، و**الإتقان**، ج ٢، ص ٩٣، و**شرح عقود الجمان**، ص ١٥٠، و**أنوار الربيع**، ج ٥، ص ٢٦٧، و**نفحات الأزهار**، ص ٢٦٩، و**تحرير التحبير**، ص ٥٧٦، و**المزهر**، ج ١، ص٢٥١.

٥- انظر: ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، تحقيق: حفني شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٥٧٦، ٥٧٨.

٦- الحسن بن هانئ، **ديوان أبي نواس**، تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٢. واشرأب الدمع: ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر على الخد، يَكِفَ: مضارع وَكَفَ بمعنى سال ـ وأصل اشرأب: مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كي ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال على الخد. ولعل السر في تفرد الفعل "اشرأب" هنا يرجع إلى تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني ـ والمشبه به ورد في البيت الثاني هو:

رَشأٌ تَواصَيْنَ القِيَانُ بِهِ حتى عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفاً

٧- سورة غافر، الآية: ١٩.

معلقا عليها بقوله: "وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم، فإن لفظة "خائنة" سهلة مستعملة كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها وقد استمر ابن أبي الإصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر" فقد أشار إلى أن لفظة "حيَّ هلا" من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

ولا يخفى تأثر ابن أبي الإصْبَع هنا بنظرية النظم التي أرساها عبد القاهر الجرجانى الذي ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أي مزية ثم ينظر إليها وهي في النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حدًا كبيرًا. ولكن يؤخذ على ابن أبي الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصي دون بيان الأسرار البلاغية التي أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها. وهذا ما حاولت فعله في هذا البحث.

إذن الفرائد في القرآن تعني تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقًا قويًا، بحيث لا يغني غيرها غناءها في موضعها، وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبي الإصبع ثم هي اكتسبت ثانيًا صفةً أخرى أكثر تخصيصًا وتقييدًا وهي كونها "فذة" أي: متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانًا.

المبحث الثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي:

في هذا المبحث سنتتبع الفرائد تاريخيًا من خلال النقاد والبلاغيين الذين تناولوها في كتبهم، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، وأيضًا من تناولها بمعناها ومدلولها المعروف الآن وسط البلاغيين، علنا نصل من خلال هذا كله إلى ماهية الفرائد عندهم، وكيفية تناولهم لها، وما الفرق بين ما طرحوه وما يطرحه البحث الآن في هذه الدراسة، وهل سنقدم رؤية جديدة من خلال هذا التناول تختلف أو تتشابه مع رؤيتهم الذي أحسب أنه سيحيط بها من خلال بنيتها وطريقة تركيبها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من كلمات، ثم من خلال سياقها، وما تفيضه على الجملة من ظلال نفسية أو صوتية أو بيانية، ثم أخيرًا إظهار إعجازها البلاغي. ويبقى أمر يجب التنبيه عليه وهو أننا سنتناول الناقد أو البلاغي من خلال أشهر وأكبر كتاب له، نحسب أنه جمع فيه خلاصة خبرته، وجُلَّ آرائه، زُبدة رصيده، وعصارة عقله في مجال النقد والبلاغة، ولا أعتقد أنه بسط كلامًا جديدًا في تضاعيف كُتَيِّبَاتِهِ الأُخَر، وبالتالي

لا يفوتنا شيء مما له علاقة بموضوعنا في هذا الكتاب أو ذاك. ولوكان هناك شيء من هذا لكان هو أحرص وأسرع الناس على إظهاره ونشره، حتى يُكتب له فضل السبق فيه، ولعلمنا اليقيني بشغفهم بالعلم وولَهِهم بالمعرفة، وخاصة في موضوع كهذا أقصد ـ الفرائد ـ الذي هو جديد في بابه، فريد في مكانه.

أولاً- الفرائد عند النقاد والبلاغيين:

وقد استقرأ الباحث التراث النقدي والبلاغي للنقاد والبلاغيين الآتية أسماؤهم:

١- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): في كتابه **البيان والتبيين**.

٢- ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ت٢٩١هـ): في كتابه **قواعد الشعر**.

٣- ابن المعتز عبد الله بن محمد (ت٢٩٦هـ): في كتابه **البديع**.

٤- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ): في كتابه **نقد الشعر**.

٥- ابن طباطبا محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٣٢٢هـ): في كتابه **عيار الشعر**.

٦- ابن وهب الكاتب إسحاق بن إبراهيم (ت٣٧٢هـ): في كتابه **نقد النثر**.

٧- الآمدي الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧١هـ): في كتابه **الموازنة**.

٨- القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز (ت٣٩٢هـ): في كتابه **الوساطة بين المتنبي وخصومه**.

٩- أبو هلال العسكري الحسن بن عبدالله (ت٣٩٥هـ): في كتابه **الصناعتين**.

١٠- ابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد (ت٤٦٦هـ): في كتابه **سر الفصاحة**.

١١- ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن (ت٤٦٣هـ): في كتابه **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**.

١٢- السكاكي يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ): في كتابه **مفتاح العلوم**.

١٣- ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ): في كتابه **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**.

١٤- حازم القرطاجني حازم بن محمد (ت٦٨٤هـ): في كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**.

١٥- شهاب الدين النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ): في كتابه **نهاية الأرب في فنون الأدب**.

١٦- الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ): في كتابه **التلخيص في وجوه البلاغة**.

ومن خلال استقراء الباحث لكتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أ- لم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائمًا فيما يخص ألفاظ القرآن ـ في حال التعرض لها ـ أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي

عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا البحث.

ب- انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف... وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلًا عن مباحثها.

ج- كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو ـ إن شئت فقل ـ آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٨]، تناقلها الجميع، ومن تعرض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

د- حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فنًا فنًا، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحكمه الذي اتخذه، وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا، تحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على أنه ما فرط في شيء.

ح- قرأت غير مرة عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط ـ دون أن يشعر ـ من تحت قدميه، مخالفًا ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز، فينشرح صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئًا فشيئًا تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى ـ لا أقلل من شأنها ـ، وتأتي الرياح بما لم تشته السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلامًا صريحًا مباشرًا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

٨- سورة هود، الآية: ٤٤.

ثانيًا- الفرائد في الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن:

لقد اطلع الباحث على الكتب التي تعرضت لبلاغة القرآن ومنها:

١- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

٢- **معاني القرآن**، للفرَّاء.

٣- **معاني القرآن**، للأخفش.

٤- **تأويل مشكل القرآن**، لابن قتيبة.

٥- **النكت في إعجاز القرآن**، للرماني.

٦- **إعجاز القرآن**، للباقلاني.

٧- **إعجاز القرآن**، للخطابي.

٨- **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، لقاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي.

٩- **الرسالة الشافية**، للجرجاني.

١٠- **أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز**، لعبد القاهر الجرجاني.

١١- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري.

١٢- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، للرازي.

١٣- **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**، لابن الزملكاني.

١٤- **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي.

ومن خلال الوقوف عند هذه الكتب لم نجد فيها ما يشفي غلتنا في هذا الموضوع.

ثالثًا- الفرائد عند من أفرد لها أبوابًا خاصة:

١- **تحرير التحبير** لابن أبي الأصبع: لقد تحدث ابن أبي الإصبع (٥٨٥-٦٥٤هـ) في كتابه **تحرير التحبير** في صناعة الشعر والنثر (في الجزء الرابع) عن الفرائد، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري فمن ذلك قول أبي نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد اشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفا[٩]

ويقول معلقًا: "إن لفظة اشرأب من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا

٩- لتفسير ذلك انظر: هامش رقم: ٦ من هذا البحث.

على سبيل الندور"[١٠]. ثم استشهد من القرآن بآيات ليدلل على كلمه. ومن خلال كلام ابن أبي الإصبع، نتبين أن ابن أبي الإصبع لم يتحدث كما قصدناها هنا في هذا البحث.

٢- **شرح الكافية البديعية**، لصفي الدين الحلي: لقد أثبت صفي الدين الحلي (٦٧-٧٥٠هـ) بابًا للفرائد في شرح الكافية البديعية[١١]... معرفًا بها وممثلًا لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر قائلًا: "وهو نوع مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه الإتيان بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، تدل على فصاحة المتكلم وقوة عارضته، حتى إن تلك الكلمة لوسقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١٢] فقوله تعالى: ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ فريدة لا يقوم غيرها مقامها وبالتالي فهذا مختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

٣- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، للحموي: لقد ذكر أبو بكر علي بن عبد الله (٧٦٧هـ-٨٣٧هـ) الفرائد في كتابه قائلًا: "الفرائد نوع لطيف مختصب الفصاحة دون البلاغة"[١٣]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو قد ذكر مصطلح الفرائد، ولكن تناوله لها مختلف عما نحن بصدده، بالإضافة أنه لم يحصها عددا.

٤- **شرح عقود الجمان**، للسيوطي: وفي حديث السيوطي (ت٩١١هـ) عن "الفرائد" في كتابه **شرح عقود الجمان** نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبي الإصبع أو إلى صفي الدين الحِلِّي وزعم أن الفرائد والتنكيت من زياداته، قائلًا: "وهذان النوعان من زياداتي وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها"[١٤]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها المتقدمون عليه. ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**[١٥]، والثاني هو: **معترك الأقران في**

١٠- ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، ص٢٢١. وانظر: كمال عبد العزيز إبراهيم، **بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم: المضارع نموذجاً**، الدار الثقافية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢، ٣.

١١- صفي الدين الحِلِّي، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق: نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٩٨٣م، ص ٢٤٥.

١٢- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

١٣- أبو بكر علي بن عبدالله الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ٢٩٧.

١٤- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **شرح عقود الجمان**، دار الفكر، ص ١٥٠.

١٥- السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، طبعة الحلبي، مصر، ج ١، ص ٢٥١.

إعجاز القرآن[١٦]، ولكن لم يشأ الباحث أن يفرد لها صفحات في هذا البحث، لأن كلامه عنها مكرور، وهو نفسه الذي قاله في هذا الكتاب مع زيادات طفيفة. وعليه فلم يتعرض له بمثل ما يتعرض لها هذا البحث.

٥- **أنوار الربيع في أنواع البديع**، للمدني: لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني (ت١١٢٠هـ) مصطلح الفرائد في كتابه مردداً كلام من سبقه من العلماء قائلاً: "هذا النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة، كقوله تعالى: "الآن حصحص الحق "مكانها"[١٧]، ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط ـ وقد نقلها عن السابقين ـ وأكثر من الاستشهاد بالشعر، ولم يزد على هذا، وعليه فقد اختلفت الدراستان.

٦- **كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار (بفن البديع)**[١٨]: وهذا الكتاب أو هذه البديعية التي ألفها الشيخ عبد الغني النابلسي على غرار ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم في **بردة البوصيري**، وما تبعها من قصائد سميت بالبديعيات معارضةً لها. ومن هنا نلاحظ أنه تحدث عن الفرائد، فوضع لها حدوداً، وأظن أنها لا تختلف كثيراً عما قاله السابقون، ولكنه لم يتعرض لفرائد القرآن في بديعيته. وبالتالي لا تتفق مع ما نحن بصدده في هذه الدراسة.

٧- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، أحمد مطلوب: لقد تطرق أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلاً: "والفرائد من مبتدعات المصري، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة،"[١٩]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه **معجم النقد العربي القديم**[٢٠]، وبالتالي تناوله لها يختلف بدوره عما سنقدمه في هذه الدراسة.

٨- **مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم: دراسة لغوية**، محمود عبد الله عبد المقصود يونس، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٦- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٤٠٧.

١٧- صدر الدين بن معصوم المدني، **أنوار الربيع في أنواع البديع (مخطوط)**، تحقيق: شاكر هادي شكر، م. النعمان، النجف الأشرف، العراق، ط١، ١٣٨٨هـ، ص ٦٧٢، ٦٧٣.

١٨- عبد الغني النابلسي، **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع**، م. نهج الصواب، دمشق، ١٢٩٩هـ، ص ٥.

١٩- المرجع السابق، ص ١٠٣، نقلاً عن كتاب **تحريرالتحبير**، ص ٥٧٦، و**بديع القرآن**، ص ٢٨٧.

٢٠- أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، ص١٦٠، ١٦١.

في هذه الدراسة تناول الباحث المفاريد القرآنية من الناحية اللغوية البحتة، أي: من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة فقه اللغة في هذه المفاريد ثم تتبعها كلها واستقصاها في القرآن الكريم وأردف لها معجما خاصًا في نهاية بحثه، وبهذا فالبحث فيه جزء متعلق بهذه الدراسة التي الباحث بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإن هذه الدراسة تختلف عما سيقدمه هذا البحث فالدراسة اللغوية شق منها ولكن ستكون هي مرحلة أو درجة يصعد عليها ليصل إلى إعجاز هذه الفرائد البلاغي والبياني وسر تفردها إن وجد.

٩- **بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم: المضارع نموذجًا**، كمال عبد العزيز إبراهيم[٢١].

وفي دراسته شرح الباحث أولًا عنوان بحثه وبالتالي شرح معنى الفرائد لغويًا، ثم تتبعها تاريخيًا عند من تعرض لها ممن سبقه، ثم أحصاها عددًا، وجمعها من القرآن الكريم مثبتًا إياها في ملحق خاص في آخر الكتاب، ثم بيّن أسباب اقتصاره على المضارع في هذه الدراسة، وشرح منهجه فيها وطريقة تعرضه لها، وكيفية تحليله لها. ولكنه اقتصر على المضارع فقط، وهذا يختلف عما سيقدم هنا، حيث سيتناول هذا البحث بقية الفرائد الأخرى.

المبحث الثالث: بعض فرائد الأسماء الفذة في القرآن:

إن مما تجدر الإشارة إليه قبل الدخول في التحليل أنه لم يأت البحث على جميع فرائد الأسماء، وعليه اختار الباحث عددا منها للوقوف عليها.

١- **حَنِيذٍ**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[٢٢]. والآية في الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام وبشارة الملائكة له بإسحاق ويعقوب.

يقول ابن فارس: "الحاء والنون والذال أصل واحد وهو إنضاج الشيء، يقال: شواء حنيذ، أي: مُنْضَج وذلك أن تحمى الحجارة وتوضع عليه حتى ينضج"[٢٣]، والحنيذ: "المشوي مطلقًا. وقيل: المشوي بحر الحجارة من غير أن تمسه النار، يقال: حنذ الشاة يحنذها: جعلها فوق حجارة محماة لتنضجها فهي: حنيذ. وقيل: معنى حنيذ: سمين. وقيل: الحنيذ: هو: السميط. وقيل: النضيج، وهو فعيل بمعنى مفعول،

٢١- كمال عبد العزيز إبراهيم، **بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم**، ص ٤٥- ٦٥.

٢٢- سورة هود، الآية: ٦٩.

٢٣- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، مصر، ١٩٩١م، ج ٢، ص ١٠٩.

وإنما جاءهم بعجل، لأن البقر كانت أكثر أمواله"[٢٤]، وعلى المعنى اللغوي فهو المشوي، واستعملها السياق، لأن "الشيَّ أسرع من الطبخ، فهو أعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف"[٢٥] وهذا يتناسب مع ما كانت عليه طبيعة سيدنا إبراهيم عليه السلام من محبة للضيوف وسرعة إكرامهم، وهذا ما يؤكده الفعل "فما لبث"، والشواء هو أكثر صحةً وإفادةً من غيره من طرق الطبخ، حيث ينضج اللحم بطريقة صحية ويطرد دهنه وسمينه، ويبقى على عناصر اللحم ومكوناته الأساسية لينتفع منها الإنسان، وطريقة الشواء لا تحتاج إلى كبير عناء وجهد، حيث إن هيئة المحنُوذِ هِيَ: "الذي يُغطى بحجارةٍ أو رملٍ مُحمى أو حائل بينه وبين النار يغطى به"[٢٦]، وهذا ما يجعلك تلحظ سر ذكرها هنا. والشواء هي الطريقة المتبعة عند العرب وخاصة البدو منهم في طهي اللحم.

٢- رَمَادٍ: ورد في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ ﴾[٢٧]. والآية في الحديث عن أعمال المشركين وضرب مثل لها يؤكد فيه أن أعمالهم محبطة.

والرماد: "معروف وهو عبارة عن دقاق الفحم من حراقة النار، وما هبا من الجمر فطار دُقاقًا والطائفة منه رمادة، وعرّفه بعضهم بأنه: غبرة فيها كدرة"[٢٨]. و "﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ تشبيه تمثيلي، وجه الشبه فيه: منتزع من متعدد. مَثَلُ صفة أعمالهم الصالحات كصلة الرحم والصدقة على الفقراء في عدم الانتفاع بها كرماد (أثر النار بعد احتراقها)، أي أعمالهم كالرماد الذي عصفت به الرياح العاتية، فجعلته هباءً منثورًا، لا يُقدر عليه، لا يَقْدِرُونَ أي الكفار مما كسبُوا (عملوا في الدنيا) عَلى شَيْءٍ لا يجدون له ثوابا، لعدم توافر شرطه: وهو الإيمان. ذٰلِكَ إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم مُحسنون هُوَ الضلال: الهلاك الْبَعِيدُ الغاية في البعد عن الحق"[٢٩]. واختيار السياق للرماد فيه دقة، لأن ذراته لا يمكن تماسكها ولا بقاؤها على حال واحد مجتمعة، وبخاصة عند هبوب ريح عليها، فكيف إذا كانت هذه الريح

٢٤- الشوكاني، فتح القدير، طبعة عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج ٣، ص ٤٦٣.

٢٥- ابن عاشور، التحرير والتنوير، طبعة عام ٢٠٠٠م، ج ١١، ص ٢٩٤.

٢٦- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٢٣٣.

٢٧- سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

٢٨- محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٤، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

٢٩- محمود عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ، ج ١٣، ص ١٧٤.

عاصفة قوية عاتية تجعله هباءً منثورًا في كل اتجاه وفي كل ناحية، فلا تعطي نفس الصورة لو قال: "رمل ـ تراب"، والرماد هو الناتج من الفحم بعد إحراقه وبالتالي يكون أشد هشاشة وخفة وهذا كله مبالغة للتأكيد على أن أعمال الكفار الخيرية لا تغني عنهم شيئًا بل تزيد في ضلالهم. و "مشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سُدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلًا. يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا. هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار. فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، وهكذا يلتقي المشهد المصور مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوق موح مؤثر. ويلتقي معهما التعقيب: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ فهو تعقيب يتفق ظله مع ظل الرماد المتطاير في يوم عاصف.. إلى بعيد!"(٣٠).

٣- **دِفءٌ**: ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾(٣١). والآية في الحديث عن الأنعام، وما يعود علينا منها من خير في الملبس والمأكل والمركب.

يقول ابن فارس: "الدال والفاء والهمزة أصل واحد يدل على خلاف البرد... والدفء عند العرب هو نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها"(٣٢)، و "ما ينتفع به من أصواف الغنم وأوبار الإبل، حيث الاستدفاء بذلك"(٣٣)، وكلمة دفء: شملت كل ما يُتخذ من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، لصنع الثياب والفرش والبيوت، "وتقديمُ الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترقي إلى الأعلى، وخص الدفء بالذكر من بين عموم المنافع للعناية به"(٣٤)، ولعل هناك تقسيمًا خاصًا بالآية يتمثل في الآتي: كلمة دفء عبرت عن الاستفادة الخارجية لجسم الإنسان منها، وكلمة ﴿تَأۡكُلُونَ﴾ عبرت عن الاستفادة الداخلية لجسم الإنسان منها، وتوسطت كلمة "منافع" لأي استفادة عامة حياتية تعود على الإنسان من

٣٠- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشرق، مصر، ط ١١، ١٤٠٢هـ، ج ٤، ص ٢٠٩٤.

٣١- سورة النحل، الآية: ٥.

٣٢- ابن فارس، مقاييس اللغة، المرجع سابق، ١٩٩١م، ج ٢، ص ٢٨٧.

٣٣- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٩٨.

٣٤- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ٨٣.

ورائها كالحمل والزينة... إلخ. وعليه فلم تغن غيرها غناءها في هذا السياق.

٤- **البِغَالَ**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ ﴾[٣٥]. والآية في الحديث عن نعم الله على الإنسان بخلقه دواب الركوب وحمل الأثقال.

يقول ابن فارس: الباء والغين واللام: "يدل على قوة في الجسم، من ذلك البغل"[٣٦]، والبغل واحد البغال التي تركب والأنثى بغلة، والبغل: هذا الحيوان الصلاح الذي يركب، وهو المولد من بين الحمار والفرس"[٣٧]، وإن ذكر البغال كنوع من دواب الركوب والحمل في القرآن الكريم هي أحد مظاهر الإعجاز القرآني فيما أتبعه في سرد هذه الأنواع الثلاثة من الحيوانات: "الخيل والبغال والحمير وترتيب ورودها في الآية الكريمة دليل على إحكام آيات القرآن، ولهذا مغزى يتطلب منا دقة وتأمل وتدبر، لأنه لا مبدل لكلماته جلّ شأنه، وقد ذكرت البغال في موضع معين في الجملة يسبقها اسم الخيل ويعقبها الحمير، وإذا ما رجعنا إلى الحقائق العلمية لتعرفنا على مغزى هذا الترتيب في ذكر الأسماء وترتيبها على هذا النحو: فالبغل حيوان عقيم لا يلد ولا ينجب ولا يتناسل بل يتوالد من تزاوج الحصان والحمار، وهو توالدٌ قد يكون في الطبيعة، ويتأتى من تدبير الإنسان، لكنّه في جميع الأحوال هو خلق من نوع يختلف عن توالد وتناسل بقية أنواع الحيوان التي تتوالد من بني جنسها. وذكر تعالى البغال بين هذين النوعين من الحيوان اللذين ينجبانه، وهو الفرس من ناحية والحمار من ناحية أخرى، أي أنه يرد في الجملة بموقع يتوسط طرفي توالده وأسباب وجوده، لأنها ليست جنسًا بل تأتي من جنسين مختلفين"[٣٨]. والبغال تتميز بأنها تجمع ما بين قوة الخيل وتحمل الحمير وقدرتها على تحمل المشاق، وحينما ذكرت الخيل والبغال والحمير في الآية الكريمة ذكرت الغاية من خلقها وهي الركوب والزينة، لكن الآية الكريمة التي تسبقها في سورة النحل تلقي المزيد من الضوء على الحكمة الإلهية من خلق هذه الحيوانات الثلاثة وأسباب ذكرها فيما خلقه تعالى من نَعَم، ونجد أن حمل الأثقال يرد في المقام الأول باعتبارها من حيوانات الحمل التي خلقت لتخفف عن الإنسان مشاق ومتاعب حمل الأمتعة والبضائع تخفيفًا من الله تعالى ورأفةً ورحمةً. وعليه تبين لنا سبب تفردها هنا في هذا السياق الذي لم يكرر في القرآن.

٣٥- سورة النحل، الآية: ٨.

٣٦- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٧١.

٣٧- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مطبع الأميرية، مصر، ط٢، ١٩١٠م، ج ٤، ص ١٦٣٦.

٣٨- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، ج ١، ص ٤٨٥١.

٥- **حَفَدَةً**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾(٣٩). والآية في الحديث عن نعم الله الكثيرة من **الأزواج والأولاد والبنين والطيبات من الرزق.**

يقول ابن فارس: "الحاء والفاء والدال أصل يدل على الخِفّة في العمل والتجمع، فالحفدة: **الأعوان**، لأنه يجتمع فيهم التجمع والتخفف وواحدهم حافد، ويقال عنهم: **الأختان، ويقال: الحفدة: ولد الولد**"(٤٠)، **وزاد بعضهم أن الحفدة**: "البنات وهن خدم الأبوين في البيت، وقيل: **من أعانك فهو** حفدك وكل من أطاع فيه وأسرع فهو حافد"(٤١)، وذكر كلمة حفدة هنا لا يغني غيرها مكانها، **حيث** الحديث عن الأزواج والأبناء وبالتالي لابد **من أن تكتمل السلسلة فذكرها، فضلًا** عن أن الإنسان يحب **الذكر والبقاء فتكون حفدة هذه حلقة اتصال للأجيال والأنساب، واستنادًا للمعنى اللغوي يكونون أعوانًا** ورفقاءً في خدمة أجدادهم ويقدمون لهم **المساعدة، وهذا ما نراه واقعًا** في حياتنا اليومية، يقول **ابن عاشور**: "**والحافد** أصله المسرع في الخدمة. **وأطلق** على ابن الابن لأنه يكثر أن يخدم جده لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ سلسلة نسبه بسبب ضبط الحلقة الأولى منها، وهي كون أبنائه من زوجه ثم كون أبناء أبنائه من أزواجهم، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع. وغير **الإنسان من الحيوان لا يشعر بحفدته أصلا ولا يشعر بالبنوة إلا أنثى الحيوان مدة قليلة قريبة من** الإرضاع. والحفدة للإنسان زيادة في مسرة العائلة، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾(٤٢). **وقد عملت "مِنْ" الابتدائية في "حفدة" بواسطة حرف العطف، لأن الابتداء يكون مباشرة وبواسطة**"(٤٣). **وقول القانت**: "**وإليك نسعى ونحفد**"، أي نسرع ونكون **طوع أمرك، ورهن إشارتك، وخدمًا** يسرعون في طاعتك، ونلحظ أن حفدة تشمل معاني كثيرة منها: الأعوان والخدم وولد الولد والأختان والأصهار، وعليه فلا يمكن أن يؤدي لفظ آخر ما أدّاه في هذا السياق، وبالتالي تفرد في مكانه.

٦- **ظَعْنِكُم**: ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾(٤٤). والآية في "باقة أخرى من فضائل الله ونعمه على بني آدم،

٣٩- سورة النحل، الآية: ٧٢.

٤٠- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٨٤.

٤١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

٤٢- سورة هود، الآية: ٧١.

٤٣- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ١٧٦.

٤٤- سورة النحل، الآية: ٨٠.

ذكر ما امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم، من أمور أخرى غير دوابهم، من بيوت السكن المبنية من الحجارة وغيرها، والخيام أو بيوت الشعر المصنوعة من جلود الأنعام، **والأصواف والأوبار والأشعار التي** تصنع منها الملابس والأثاث **(المفروشات)** والأمتعة التي يتجر بها ويعاش من أرباحها"(٤٥).

يقول ابن فارس: "الظاء والعين والنون أصل واحد يدل على الشخوص من مكان إلى مكان **تقول: ظعن يظعن ظعنًا وظعنًا:** إذا شخص ومنه الآية"(٤٦)، **والظعن:** سير البادية لنُجْعة، أو حضور ماء أو طلب مربع، أو تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد، وقد يقال لكل شاخص لسفر في حج أو غزو أو مسير من مدينة إلى أخرى ظاعن"(٤٧)، **وكان السياق دقيقًا في استعماله لـ: "ظعنكم"، حيث إن الظعن هو** الرحيل بالهوادج باستعمال الرواحل من الإبل والهودج لا يكون إلا على الإبل، **حيث لا وسائل** مواصلات غيرها، وهذا ما كانت عليه العرب قديمًا في الترحال، ولم تغن غيرها مكانها من مثل: **سفركم، تنقلكم،** لأن الأمر ربما ينسحب على طريقة أخرى للتنقل، أما بهذه فتأكيد على التنقل بالرواحل وهذا ما كانوا عليه في **الواقع.**

٧- **تَوْكِيدِهَا:** ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾(٤٨). والآية في معرض النهي عن مخالفة العهود، ونقض الوعود، والحنث في الأيمان.

يقول ابن فارس: "**وكد ـ الواو والكاف والدال ـ** كلمةٌ تدل على شَدٍّ وإحكام. **وأوكَدْ عَقْدَكَ أي:** شُدّه"(٤٩). "**وكدت العهد وأكدته: وثقته وأوثقته**"(٥٠).

"**والتّوكيد:** التوثيق وتكرير الفتل، وليس هو توكيد اللفظ كما توهّمه بعضهم فهو ضدّ النقض. وإضافته إلى ضمير الأيمان ليس من إضافة المصدر إلى فاعله ولا إلى مفعوله، إذ لم يقصد بالمصدر التجدّد بل الاسم، فهي الإضافة الأصلية على معنى اللام، أي التوكيد الثابت لها المختصّ بها. **والمعنى: بعد ما فيها من التوكيد، وبيّنه قوله:** ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾"(٥١).

٤٥- وهبة الزحيلي، المنير في العقيدة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ، ج ١٤، ص ٢٠٠.

٤٦- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٤٦٥.

٤٧- ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٥٣.

٤٨- سورة النحل، الآية: ٩١.

٤٩- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٦، ص ١٠٦.

٥٠- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٣١.

٥١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩٢.

وجاءت الكلمة متسقة تمامًا مع ما كانت العرب تفعله عند إبرام العهود وتوثيق العقود، وما يحدث الآن في دنيا الناس، من توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه تبارك وتعالى من مثل: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أو ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ شَهِيدٌ﴾ يعني بالإشهاد على أنفسهم، وأشهدوا الله على الوفاء به، علاوةً على العزم والتصميم عليها، أو يطلب من المعاهدين القسم بالله عن طريق تكراره مرة ومرتين، وهذا ما يسمى بـ: "توكيدها" أى: بعد توثيقها وتغليظها. وهذا ما نراه في دور القضاء والمحاكم من طلب القسم ثلاث مرات، وهذا يصبغها بالقوة والشدة كما يفعل بالأحبال إذا أردنا بها قوة وشدة وإحكام من تكرار الفتل لها لجعلها أكثر متانةً وأشد قوة، وهذا ما يحدث مع الأيمان عند توثيقها. والآية تنطوي على تشبيه جميل ومبتكر من استدعاء صورة الأحبال وتكرار الفتل فيها لتقويتها بالأيمان عند توثيقها، وهذا يرسم صورة حسية لها لتكون قريبة من الذهن وواضحة للفهم. والآيات والأحاديث التي وردت في وجوب الوفاء بالعهود كثيرة لأهميتها وأثرها في الحفاظ على المجتمع، لأن الوفاء بالعهود من آكد الحقوق وأوجبها على الإنسان. وجاءت هذه الكلمة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد ذلك النهي بعدم نقض الأيمان للإشعار "بأن نقض الأيمان وإن كان قبيحًا فى كل حالة، فهو فى حالة توكيد الأيمان وتغليظها أشد قبحًا"(٥٢). وكلمة توكيدها لم يغن غيرها مكانها من مثل: (تثبتها ـ توثيقها ـ إقرارها)، لأنها تعطي نفس هذه الدلالات وفوق ذلك تعطي معنى التكرار وشدة الإيثاق وهذا ما يتم فعلًا على أرض الواقع من تداخل يمين المعاهدين بعضهم البعض من أن كل طرف يقسم على ما أقسم به صاحبه ثم يعيد الآخر.. وهكذا.

الخـاتمـة:

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

١- عدد فرائد الأسماء الفذة في القرآن الكريم كثيرة جدا، توزعت بين سوره، لم نعرض منها في هذا المقام إلا النذر اليسير، وذلك نظرا للالتزام بمنهجية البحث.

٢- بعد هذا الطواف حول الأسرار البلاغية واللغوية للاسم الفريد في القرآن الكريم، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياق كل فعل أو مقامه الذي يقتضى مجئ هذا الاسم أو ذاك ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه، إذ إنه بهذه الصفة يؤدي من المعاني والتأثير والجمال الفني مالا يؤديه غيره، وأنه ـ وللسبب نفسه ـ لم يتكرر مرة أخري، إما

٥٢- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، ط ٣، ١٤٠٦هـ/١٩٧٨م، ج ١، ص ٢٥٦٣.

لأن الموقف لم يتكرر وهذا ما لاحظناه في هذه الأسماء أو لأن الموقف قد تكرر ولكن السياق أو المقام اختلف في بعض التفاصيل التي كانت سببًا في اختيار فعل آخر كما رأينا.

٣- لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلامًا صريحًا مباشرًا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة، ولم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائمًا فيما يخص ألفاظ القرآن ـ في حال التعرض لها ـ أوصافًا ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو.

٤- لم نعثر على أي حديث عن الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

٥- أعترف بأن بعض الأسماء في هذا البحث كانت عصية أبية فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول حصن هذا الاسم المنيع ألتمس بلاغة سياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القارئ في ذلك، فحسبي أنني ـ فيما أعلم ـ أرود طريقًا غير معهود ومجالًا غير مسبوق.

٦- القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تتفتح للباحث المتأمل كوة النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات وظلال المعاني التي تساعده في معرفة الأسرار البلاغية للقرآن الكريم.

٧- انصب جل اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف... وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن وبلاغته ـ إلا القليل ـ فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم.

٨- جاءت الفرائد عند من تناولها بما نقصده في هذا البحث، جزئية، أو مقصورة على بعض الألفاظ دون تقسيم أو تحديد لها وذكرها على سبيل المثال فقط، وإن كان فمن جهة اللغة والغرابة والاقتدار والإعجاز، ولم يشرع أحد في تحليلها بالشكل الذي يأتي عليه هذا البحث اللهم إلا دراسة واحدة ولكنها تناولت المضارع، وهنا تناولنا الماضي.

٩- إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.

١٠- ظهر للباحث أن دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت بالمعنى التفسيري واللغوي إلى حد بعيد، بل إنه في أحايين كثيرة يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية.

١١- لكل لفظ في القرآن قصد محقق، وهدف مقصود في سياقها الخاص بها على وجه الإعجاز والتحدي، ولا سبيل لوقوع لفظة مكان أخرى تترادف معها، أو حتى تتبادل موقعها، وهذا ما يأباه الكلام المعجز، لأن كل حرف فيه مقصود لسمة تعبيرية أو معنى محدد.

١٢- الفرائد القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظ لفظًا آخر فيتساوى معه في المعنى تمام المساواة، بل إن الكلمة ذاتها لتتكرر في أكثر من سياق لتدل على معنى آخر مغاير في كل سياق، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أدى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفق وحياة.

التوصيات:

وهناك جملة من التوصيات والاقتراحات التي آمل أن تجد آذانًا صاغية وهي:

١- تأليف كتاب جامع في الإعجاز، إذ لا يوجد حتى الآن حسب علمي كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة، لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.

٢- التوسع في بيان الإعجاز البياني والكشف عن أسراره، إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها، ولهذا لم يعد واضحًا لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته.

٣- الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية: "قراءةً ودراسةً وتعلُّمًا"، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانات المتاحة لهم.

٤- تقرير مادة تسمى "مفردات أو فرائد القرآن" على أقسام طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات، لتُقرّب الطلاب من كتاب ربهم ومن لغته التي تسهم في معرفة المزيد عن دينهم والتي يقوى بها إيمانهم.

٥- ضرورة التعرف على مناهج العلماء القدامى والمحدثين في البحث القرآني، والإفادة منها في الدراسات المقارنة، وطرائق البحث في المؤلفات القرآنية القديمة والحديثة وكيفية التعامل معها.

٦- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة في هذا الموضع وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

Elaquent Features of some Unique Qur'ānic Words

The writer takes up a vertical aspect of inimitable eloquence of Qur'ānic communication. He identifies some unique words and expressions that have been employed by the Qur'ān to convey the meaning with inimitable eloquence. These words and expressions are without parallel in the Arabic linguistic tradition. The writer also surveys the early literary and linguistic sources to demonstrate the fact that classical scholarship of the Qur'ān had been cognizant of this unique feature of the Qur'ān, though it did not figure in their discussions in detail.

According to the writer, these words occur in the Qur'ān by the precise requirement of the context. This is why these are never repeated whenever there is slightest variation in that requirement. This feature of the Qur'ān is yet another evidence of the inimitability of the Qur'ān, the writer concludes.

****